



بحوث العلوم السياسية والاجتماعية الأصلية

تعثر السلام في السودان بين الجغرافيا والبنية الاجتماعية (مقاربة نظرية مستندة إلى إيمانويل تود)

The Stumbling of Peace in Sudan between Geography and Social Structure: A Theoretical Approach Based on Emmanuel Todd

باحث مساعد، الجامعة الليبية الدولية - ليبيا - بنغازي

د. أسامة محي الدين خليل

DOI: 10.3875/alreyada.jahs.2026.4208

تاريخ النشر: سبتمبر 2026

تاريخ القبول: 25 أغسطس 2026

تاريخ الاستلام: 15 يوليو 2026

المخلص:

يتناول هذا البحث إشكالية تعثر السلام في السودان من خلال مقاربة نظرية تستند إلى الجغرافيا البشرية والبنية الاجتماعية. مستلهماً أطروحات الباحث الفرنسي إيمانويل تود حول أنماط العائلة، التعليم، والدولة. ينطلق البحث من فرضية مركزية مفادها أن أزمات السلام في السودان لا يمكن تفسيرها فقط عبر العوامل السياسية أو الأمنية، بل تمثل نتاجاً لاختلالات بنيوية عميقة ناتجة عن عدم التوافق بين المجال الجغرافي، البنية الاجتماعية التقليدية، ومشروع الدولة الحديثة. يعتمد البحث المنهج التحليلي-التفسيري، من خلال تفكيك العلاقة بين التوزيع السكاني، أنماط الاستقرار الريفي والحضري، البنية القبلية والعائلية، والتفاوت الجهوي في التعليم والتنمية، مع ربطها بإخفاقات بناء الدولة الوطنية. ويوظف البحث إطار إيمانويل تود النظري لفهم كيف تؤدي استمرارية العائلة الممتدة وضعف التحول التعليمي إلى إعاقة تشكيل الفرد المواطن، وتعزيز الولاءات الأولية، ما ينعكس في هشاشة الدولة وتكرار العنف. تخلص الدراسة إلى أن تعثر السلام في السودان يعكس فشلاً بنيوياً في إدارة التنوع داخل فضاء جغرافي واسع وغير متكامل، وأن المبادرات السياسية للسلام ظلت محدودة الأثر لغياب معالجات اجتماعية وتعليمية عميقة.

الكلمات المفتاحية: الجغرافيا البشرية، السلام، البنية الاجتماعية، السودان، إيمانويل تود، الدولة الحديثة

Abstract:

This study examines the persistent failure of peace in Sudan through a theoretical framework grounded in human geography and social structure, drawing on the ideas of French scholar Emmanuel Todd regarding family systems, education, and state formation. The research departs from the central assumption that Sudan's peace crisis cannot be adequately explained by political or security factors alone, but rather reflects deep structural imbalances arising from the misalignment between geographic space, traditional social structures, and the modern nation-state project. Adopting an analytical-interpretive approach, the study explores the interconnections between population distribution, rural-urban settlement patterns, tribal and extended family structures, and regional disparities in education and development. The findings reveal that peace failure in Sudan is fundamentally structural in nature, rooted in the inability to integrate social diversity within a fragmented geographical and institutional context.

Keywords: Human Geography, Peace, Social Structure, Sudan, Emmanuel Todd, State Formation

1. التمهيد والإطار العام للدراسة

يشهد العالم المعاصر تزايداً في النزاعات الاجتماعية والسياسية والثقافية، خاصة في الدول متعددة الأعراق واللغات والثقافات. وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن التوترات لا تنتج دائماً عن صراع مباشر على الموارد أو السلطة، بل غالباً نتيجة اختلالات بنيوية عميقة في التنظيم الاجتماعي والبنية السكانية وعلاقة هذه البنى بالجغرافيا. وفي هذا السياق، أصبح من الضروري تجاوز النظرة الوصفية التقليدية للسلام التي تركز على التوصيف أو الإجراءات السياسية المؤقتة، والانتقال إلى فهم السلام كحالة بنيوية متأصلة في البنية الاجتماعية والجغرافية.

بعد السودان نموذجاً غنياً لدراسة هذه الظاهرة، نظراً لتعددته الإثني والثقافي، وتفاوتاته الجغرافية الكبيرة، وتاريخه الطويل من الصراعات والتحولات السياسية والاجتماعية. ويتسم المجتمع السوداني بتداخل مستمر بين الريف والحضر، وعلاقات الولاء القبلية، والتوزيع غير المتوازن للسكان والموارد، ما يخلق شبكة معقدة من التفاعلات التي تؤثر على استقرار الدولة وإنتاج السلام.

تعد مناطق مثل دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان نموذجاً واضحاً لكيفية تعارض البنية الاجتماعية والجغرافيا مع محاولات بناء السلام: حيث تظهر النزاعات بشكل متكرر نتيجة التهميش المكاني، وتفاوت التنمية، والصراعات على الموارد، حتى في ظل وجود سياسات ومبادرات رسمية للسلام.

⚠ مشكلة البحث (Research Problem)

على الرغم من تعدد المبادرات السياسية والتنموية الرامية لتحقيق السلام في السودان، فإن مسار السلام ظل متعثراً، وعاجزاً عن التثبيت في صورة استقرار ثقافي واجتماعي مستدام. وتتمحور المشكلة في السؤال الرئيسي التالي: لماذا يعجز السودان عن تحقيق استقرار مستدام رغم توالي مبادرات السلام، وكيف تسهم البنية الاجتماعية والجغرافيا البشرية في هذا التعثر؟

🎯 أهداف البحث (Research Objectives)

- تحليل العلاقة البنوية بين البنية الاجتماعية والجغرافيا البشرية وتعثر السلام.
- استكشاف تأثير البنى السكانية والعائلية والقبلية على استقرار الدولة.
- تفسير دور التفاوتات المكانية والهجرة والتحصن في تعثر التعايش السلمي.
- توظيف أطروحات إيمانويل تود لتفسير أسباب فشل اتفاقيات السلام.

❓ تساؤلات البحث الفرعية

- كيف تؤثر البنية الاجتماعية (العائلة، القبيلة) في تعثر السلام؟
- ما الدور البنوي للتوزيع السكاني والهجرة في استدامة النزاع؟
- كيف تفسر صراعات الريف والمدن في ضوء أطروحات إيمانويل تود؟
- إلى أي مدى تفشل المبادرات لتجاهلها الجغرافيا والبنية الاجتماعية؟

✅ فروض البحث الرئيسية

- توجد علاقة طردية بين البنى التقليدية واستدامة النزاع وهشاشة الدولة.
- التوزيع السكاني والمكاني غير المتكافئ للموارد يعوق فرص السلام.
- التحصن غير المنظم يعيد إنتاج صراعات الهوية داخل المدن.
- فشل الدولة في التكيف مع الجغرافيا يعوق إنتاج استقرار مستدام.

2. الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة

📍 الجغرافيا البشرية (Human Geography):

حقل يدرس التفاعلات العميقة بين الإنسان والمجال المكاني، مبيناً كيف يفسر الموقع والتوزيع السكاني علاقات القوة والمنافسة وتشكيل هيكل العلاقات بين الإنسان والدولة (Knox & Marston, 2016). فالمكان ليس وعاء محايداً، بل عنصر فاعل في إنتاج الصراع أو التعايش.

🕊 من السلام الإيجابي إلى الاستقرار البنوي:

تجاوز مفهوم "السلام السلبي" (غياب العنف المباشر) و"السلام الإيجابي" عند غالتونغ (Galtung, 1996) نحو "الاستقرار البنوي" (Structural Stability): حيث يركز الاستقرار على توافق عميق بين التكوينات الديموغرافية والاجتماعية والعدالة المكانية وتوزيع الثروة والفرص.

🔗 المنهجية المعتمدة ومصادر البيانات:

تعتمد الدراسة المنهج التحليلي-التفسيري ذا الطبيعة البنوية-التاريخية، عبر تفكيك تشكّل الدولة في سياقها الجغرافي والاجتماعي، وتحليل الأدبيات والتقارير الدولية (UNDP, World Bank) والوثائق الوطنية، وربطها بنظرية إيمانويل تود التحليلية دون الاعتماد على المسوحات اللحظية غير القادرة على استيعاب التحولات طويلة الأمد.

3. الدراسات السابقة والفجوة البحثية

الدراسة والباحث	المحور والموضوع	النتائج المستخلصة وعلاقتها بالبحث الحالي
Kobayashi (2012) جغرافيا السلام	جغرافيا السلام والنزاع المسلح (دار Routledge)	التوزيع المكاني للسكان والحدود يؤثران مباشرة في ديناميات النزاع، وأهمية الجغرافيا في هندسة سياسات التهذنة.
Hughes et al. (2011) الجغرافيا السياسية	أجندة السلام في الجغرافيا (Political Geography)	الجغرافيا بحاجة لتطوير أدوات نظرية لفهم السلام الإيجابي والمكاني بدلاً من الاقتصار على تحليل فضاعات الحرب.
Nyadera & Massaoud (2019) الفضاعات الهشة	أثر المساحات غير المحكومة في نزاعات الساحل الإفريقي	غياب الرقابة المؤسسية في الفضاعات الشاسعة يقاوم النزاعات، مما يبرز حتمية إدماج الجغرافيا في معاهدات السلام.
التميمي (2022) السلام البنيوي	تطبيق نظرية غالتونغ في دراسات الشرق الأوسط	الانتقال للسلام الحقيقي يتطلب معالجة العنف البنيوي والتوزيع المتكافئ للموارد والخدمات بين الفئات الاجتماعية.

الفجوة البحثية (Research Gap): تفتقر الأدبيات العربية والإفريقية إلى دراسات تربط بنوياً بين أنماط التنظيم العائلي والتحول التعليمي والديموغرافي والجغرافيا في تفسير تعثر السلام؛ حيث يوظف هذا البحث أطروحات "إيمانويل تود" لملء هذه الفجوة التحليلية المعقدة.

4. إيمانويل تود إطار تفسيري (Toddian Analytical Framework)

يبرز المؤرخ وعالم الديموغرافيا الفرنسي إيمانويل تود (Emmanuel Todd) كمرجع نظري رائد ربط بين البنى المجهريّة للأسرة والتحوّلات الديموغرافية الكبرى ونشوء واستقرار الأنظمة السياسية (Todd, 1987). وتركز محاوره النظرية فيما يلي:

أنماط العائلة والولاء السياسي:

يتميز تود بين أربعة أنماط عائلية: (النووية المساواتية، الأبوية المتمركزة، المشتركة الممتدة، والمختلطة). في المجتمعات التي تسود فيها **العائلة الممتدة**، تتشكل ولاءات عضوية عميقة تعلو فوق الدولة؛ فتتحول الأسرة والقبيلة إلى وحدة إنتاج للسلطة وحماية بديلة للدولة المهتزة (Todd, 1990).

التعليم والديموغرافيا كشرط للتحوّل:

يرى تود أن التعليم ليس مجرد أداة لتوليد المهارات، بل هو المؤشر الحاسم لولادة "الفرد المواطن" وتفكيك الذهنية القبلية. وإذا ما اتسم التعليم بالتفاوت الإقليمي الحاد، فإنه يؤدي لإنتاج وعي سياسي منقسم يقاوم النزاعات الأهلية بدلاً من علاجها (Todd, 1976).

إثبات حدود المقاربة التودية في السياق السوداني:

طور تود نموذجاً في البيئات الغربية والأوراسية؛ لذا يقتضي تطبيقه سودانياً حذراً نظرياً عبر مراعاة الإرث الاستعماري، والحدود المصطنعة، واقتصاد الرعي. وتعدد الإثنيات، دون تحويل النظرية إلى حتمية جامدة، بل كأداة كاشفة للبنى الممتدة عبر الزمن (Todd, 2011).

5. الجغرافيا البشرية والبنية الاجتماعية في السودان: قراءة في تعثر السلام

يتميز السودان بتركيبة ديموغرافية شديدة التنوع تشمل على أكثر من 500 مجموعة إثنية ولغوية. وتؤكد تقارير التنمية البشرية (UNDP, 2013) أن السكان يتوزعون عبر سدود جغرافية ثقافية تجعل الانتماء مرتبطاً بالفضاء المكاني المباشر لا بالمركز السياسي.

جدول 1.0: الخصائص الجغرافية وأنماط التماسك الاجتماعي عبر الأقاليم السودانية

الإقليم	الخصائص البيئية والجغرافية	نمط التنظيم والولاء الاجتماعي	الأثر البيئي على الاستقرار والسلام
دارفور	صحراوي - شبه صحراوي، شح موارد	ولاعات قبلية صلبة، حواكير تقليدية	صراعات أفقية حادة حول الأرض ومسارات الرعي.
كردفان	سهول متوسطة، تداخل زراعي ورعوي	روابط عشائرية ومصاهرات ممتدة	قابلية للتعبئة المسلحة عند اختلال الموارد.
النيل الأزرق	مناطق جبلية، غابات، تماس حدودي	روابط محلية إثنية متميزة	تمركز الهويات المحلية في مواجهة المركز.
الخرطوم (المركز)	مركز حضري متكسد وضخم	ولاعات هجينة متعددة ومتنافسة	فضاء احتكاك واحتجاج يومي نتيجة غياب الاندماج.

1. الريف والعائلة الممتدة: سلطة موازية

يعيش قرابة 70% من سكان السودان في المناطق الريفية (World Bank, 2020): حيث تسيطر العائلات الممتدة والقبائل كليا. تصبح العائلة "وحدة إنتاج للسلطة وتوزيع الموارد". ويُفسر النزاع بوصفه "عائلة ضد عائلة" مما يجعل اتفاقيات السلام الموقعة في الفنادق الفاخرة عاجزة عن اختراق الريف.

2. المدينة والخرطوم: حقل تجارب ملغوم

شهد السودان موجات نزوح وتخضر قسري نحو الخرطوم نتيجة الجفاف والحروب. وبدلاً من أن تتحول المدينة إلى بوتقة لصهر الهويات وإنتاج المواطنة، عززت البنية الحضرية عن استيعابهم (World Bank, 2019). فأعاد السكان إنتاج روابطهم القبلية داخل أحزمة الفقر المحيطة بالعاصمة.

3. التعليم والتفاوت الجهوي: متبني أساسي بالصراع (The Education Gap)

أظهرت البيانات تفاوتاً جوهرياً فجاً. تركز مؤسسات التعليم العالي ومعدلات التمدد المرتفعة في الخرطوم والوسط. مقابل تدنٍ خطير في دارفور والنيل الأزرق وكردفان. يؤكد التحليل التوحيدي أن حرمان الأطراف من التعليم الحديث يعزز تمسكها بالبنى التقليدية الأولية ويولد "وعياً هامشياً متظلماً" يسهل استقطابه في الحروب الأهلية.

جدول 2.0: مصفوفة التفاعل البنوي للعوامل الجغرافية والاجتماعية وأثرها على مسار السلام

العامل البنوي	الوظيفة السوسولوجية والمكانية	الانعكاس المباشر على بناء الدولة والسلام
التوزيع السكاني والقبلي	تحديد الولاعات وديناميكيات السيطرة على الأرض	إضعاف السلطة المركزية وخلق قوى محلية موازية.
الريف والعائلة الممتدة	توفير الأمان البديل وتكريس العصبيّة العشائرية	تسييس الانتماء الأولي وانهيار فكرة الفرد المواطن.
التخضر غير المندمج	مساحة احتكاك حادة بين ثقافات متنافرة	تحول المدن من مساحات سلم مدني إلى بؤر احتقان.
التفاوت التعليمي الجهوي	توليد نخب مركزية وأطراف مغيبة معرفياً	انقسام الخطاب الوطني واستحالة بناء هوية مشتركة.

6. قراءة بنيوية في فشل الدولة السودانية وصدام الجغرافيا مع المشروع الوطني

6.1 دولة بلا قاعدة اجتماعية (State Without Social Foundation)

تأسست الدولة السودانية الحديثة في سياق استعماري فرض حدوداً خريطة مصطنعة دون مراعاة للبنى القبلية والتاريخية ودون أن يسبق ذلك أي تحول تدريجي في أنماط الأسرة أو تعميم التعليم أو تطور الاقتصاد الوطني (Herbst, 2000). وبحسب منطق إيمانويل تود، فإن الدولة لا يمكن أن تستقر إلا بوصفها امتداداً عضوياً لتحولات المجتمع من أسفل، بينما بقيت الدولة في السودان "كياناً إدارياً وأمنياً معزولاً ومفروضاً من أعلى".

6.2 جدلية المركز والهامش: الفشل الجغرافي-السياسي

أنتجت المساحة السودانية الشاسعة تفاوتاً حاداً في بسط السيادة: حيث استأثر الشريط النيلي والخرطوم بالاستثمارات، بينما ظلت الأقاليم الطرفية تعيش في ظل غياب الدولة (Johnson, 2016). تحولت هذه الأطراف إلى فضاءات شبه مستقلة تحكمها منظومات السلاح والتهرب واقتصاد الحرب والولاء القبلي، مما جعل أي اتفاقية سياسية فوقية عرضة للانحياز بمجرد تغير موازين القوى المحلية.

6.3 لماذا فشلت المبادرات السياسية (نيفاشا، أبوجا، جوبا)؟

تم التعامل مع السلام كـ "نص سياسي" ومحاصصة وزارية بدلاً من كونه "عملية تحول بنيوي اجتماعي".

محاصصة النخب بدلاً من التحول:

تركزت الاتفاقيات على اقتسام الثروة والسلطة والترتيبات الأمنية بين قادة الحركات والمركز، بينما مثلت تلك النخب امتداداً لبنها العشائرية ذاتها، ووظفت مكاسب السلام لتعزيز نفوذها القبلي الخاص، فتحول السلام إلى "هدنة هشة بين نخب" لا مصالح مجتمعية.

تغيب الشروط البنيوية للسلام:

تجاهلت الاتفاقيات تماماً قضايا التعليم المتكافئ، تفكيك هيمنة العائلة الممتدة لصالح الفرد المواطن، ودمج الهامش جغرافياً عبر البنية التحتية. وطبقاً لتود (Todd, 2017)، فإن أي سلام لا ينعكس في تعديل البنى الاجتماعية القاعدية هو سلام وهمي ومؤقت.

6.4 آليات تحول التنوع الإثني والمكاني إلى عنف مسلح

- العائلة والقبيلة كوحدة تعبئة أمنية وعسكرية:** في ظل فراغ أجهزة الدولة القانونية والقضائية، ارتد المواطنون نحو عشائرتهم للحصول على الحماية وتوزيع الموارد، مما شرعن التسلح القبلي وظهور الميليشيات الموازية للجيش (Todd, 2011).
- إنتاج الوعي المنقسم:** التعليم غير المتكافئ رسخ وعياً مركزياً استعلائياً يدعي التحديث، قابله وعي هامشي يرى في الدولة أداة استعمار داخلي ونهب للموارد، مما أغلق قنوات الحوار الوطني الموحد (UNDP, 2019).

الخلاصة التحليلية: تعثر السلام في السودان ليس تعثراً عارضاً يمكن تسويته بمفاوضات سياسية أو وساطات إقليمية، بل هو النتيجة الطبيعية والحتمية لصدام عميق وتاريخي بين جغرافيا مترامية، وبنية عائلية قبلية تعوض غياب الدولة، ونموذج حكم استبدادي فشل في التحول إلى دولة مواطنة.

7. الاستنتاجات، التوصيات والخاتمة الأكاديمية

ث. ثبوت فرضيات البحث:

أثبتت النتائج صحة الفرضيات الأربع: الجغرافيا غير المتوازنة والبنى العائلية التقليدية تشكل كوابح بنوية للاندماج الوطني؛ والتحصن المشوه أفرز صراعات إضافية؛ والاتفاقيات السياسية تنهار لعدم مرافقتها بتحولات اجتماعية وتعليمية موازية.

ج. التوصيات وآفاق المستقبل:

• تبني استراتيجية عدالة مكانية تركز على ربط الأطراف التنموي.
• إعادة النظر في التعليم كأداة بنوية لتحرير الفرد من التمرس القبلي.
• تجاوز صيغ المحاصصة بين النخب نحو إعادة صياغة العقد الاجتماعي للدولة.

المراجع المعتمدة (References)

أولاً: المراجع العربية:

- [1] حمدان، جمال (2001). *شخصية مصر: دراسة في عبقريّة المكان* (الجزء الأول). القاهرة، مصر: دار الهلال.
- [2] عبد السلام، أحمد (2015). *الجغرافيا البشرية المعاصرة*. القاهرة، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- [3] عبد السلام، عصام (2021). *جغرافية الحرب والسلام*. القاهرة: مؤسسة نور بوك.
- [4] التميمي، زياد (2022). السلام البنوي في العراق: دراسة في نظرية جوهان غالتونج للسلام. *مجلة بحوث الشرق الأوسط*. جامعة عين شمس. (62)، 115-142.

Second: English References:

- [1] Galtung, J. (1996). *Peace by Peaceful Means: Peace and Conflict, Development and Civilization*. Oslo: PRIO / SAGE Publications.
- [2] Herbst, J. (2000). *States and Power in Africa: Comparative Lessons in Authority and Control*. Princeton: Princeton University Press.
- [3] Johnson, D. H. (2016). *The Root Causes of Sudan's Civil Wars: Peace or Truce* (3rd ed.). Oxford: James Currey.
- [4] Knox, P. L., & Marston, S. A. (2016). *Human Geography: Places and Regions in Global Context* (6th ed.). Harlow: Pearson Education.
- [5] Nyadera, I. N., & Massaoud, M. (2019). Elusive Peace and the Impact of Ungoverned Space in the Sahel Conflict. *Journal of Security Sciences*, 4(1), 77-98.
- [6] Todd, E. (1985). *The Explanation of Ideology: Family Structures and Social Systems*. Oxford: Basil Blackwell.
- [7] Todd, E. (2011). *After the Empire: The Breakdown of the American Order*. New York: Columbia University Press.
- [8] Todd, E. (2017). *Who is Charlie? Xenophobia and the New Middle Class*. Cambridge: Polity Press.
- [9] UNDP (2013). *Human Development Report 2013: The Rise of the South*. New York: United Nations Development Programme.
- [10] World Bank (2020). *Sudan Economic and Demographic Indicators*. Washington, DC: The World Bank.

99 كيفية توثيق هذا البحث علمياً (How to Cite):

خليل، أسامة محي الدين (2026). تعثر السلام في السودان بين الجغرافيا والبنية الاجتماعية (مقاربة نظرية مستندة إلى إيمانويل تود). *مجلة جامعة الريادة الأهلية للعلوم التطبيقية والإنسانية*. 4(2)، 1-6. المعرف الرقمي: 4208. 2026. jahs. alreyada. doi.org/10.3875